

غير ذلك مما يتعلق بالقرآن الكريم.

وتعليم القرآن من أهم أبواب الدعوة إلى الله تعالى، فإن الدعوة تقع بأمر شتى من جملتها تعليم القرآن، وهو أشرف الجميع، كما أنه أصل التعليم الذي يُبنى عليه غيره من العلوم.

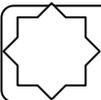
ومن المعلوم أنّ حفظ القرآن الكريم في السودان يقوم على نظام "الخلوة"، وما زال الناس يعتمدون عليه، إلا أنّ الخلوات تحتاج إلى تطوير في طرق تدريسها ومناهجها ووسائلها.

ولا شك أنّ الخلوة لعبت دوراً كبيراً في نشر القرآن الكريم في ربوع السودان، وخرّجت العديد من الحفظة وإلى يومنا هذا، ولذلك أحببت أن أطرح بعض الأفكار والرؤى حول واقع الخلوة من ناحية المنهج والطرق والأساليب والوسائل، وواقعها أيضاً من حيث الفهم والتدبر للقرآن الكريم، وما هي الرؤية المستقبلية في النهوض بهذه المؤسسات؟ وكذلك المشاريع المناسبة التي تساعد على تطويرها وتحديثها حتى لا تبقى أسيرة التقليد والماضي، فيتجاوزها الزمن.

ورأيت أن يكون عنوان البحث ((الخلوة بين التقليد والتجديد - نحو مؤسسة نموذجية لتعليم القرآن الكريم))

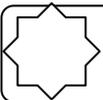
أهمية الموضوع: تبيين أهمية هذا الموضوع من خلال الآتي:

- 1/ إبراز دور الخلوة في نشر القرآن بالسودان.
- 2/ التأكيد على أنّ العناية بالمؤسسات القرآنية ينبغي أن تكون في المقدمة بالنسبة لجميع مؤسسات التعليم الأخرى
- 3/ بيان واقع الخلوات من جهة الحفظ والفهم والتدبر للقرآن الكريم.
- 4/ التنويه على عناية الأمة بالقرآن من جهة الحفظ في الصدور، والكتابة على السطور مع



- منهج البحث

- ❖ التمهيد وفيه بيانٌ لدور المؤسسات القرآنية والعناية بها مع بيان بعض المفاهيم، وذكر أهم المؤسسات القرآنية.
- (أ) دور المؤسسات القرآنية عموماً.
- (ب) العناية بالمؤسسات القرآنية عموماً (الخلوات وغيرها).
- (ج) مفهوم المؤسسة القرآنية.
- (د) مفهوم الخلوة.
- (هـ) مفهوم التقليد والتجديد.
- (و) مفهوم التطوير والتحديث والمقصود بهما
- (ز) أهم المؤسسات القرآنية في السودان بصفة عامة.
- ❖ المبحث الأول مؤسسة الخلوة في السودان تاريخها ونشأتها، منهجها ووسائلها، وتحت مطالب:
 - المطلب الأول تاريخ الخلوة ونشأتها.
 - المطلب الثاني أهم الوسائل التعليمية في الخلوة.
 - المطلب الثالث أسلوب الخلوة وطريقتها.
 - المطلب الرابع أهم ما يميز الخلوة في منهجها ونظامها الدراسي عن بقية مؤسسات التعليم الأخرى.
- ❖ المبحث الثاني إمكانية التطوير والتحديث في المؤسسات القرآنية (الخلوات وغيرها) وفيه مطلبان:
 - المطلب الأول مرتكزات التطوير والتحديث في المؤسسات القرآنية (الخلوات وغيرها).

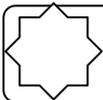


❖ الخاتمة، وفيها أهمّ النتائج والتوصيات.

❖ فهرس المصادر والمراجع

منهج البحث اعتمد هذا البحث في كتابته على الآتي:

- المنهج التحليلي الاستقرائي، وذلك استناداً إلى التجربة والخبرة والرصد والملاحظة، حيث درستُ بالخلوة إلى أن أكملتُ بها حفظ القرآن الكريم عام 1980م.
- مراعاة الموضوعية في التوصل إلى النتائج والأحكام بعيداً عن التحيز، والتزام الحياد.
- عزو الآيات إلى سورها مع ذكر أرقامها.
- خُرجت الأحاديث والآثار من مصادرها المعتمدة.
- وُثقت الأقوال من مصادرها الأصلية.
- خُتم البحث بذكر أهمّ النتائج والتوصيات.
- وُضع فهرس للمصادر والمراجع يبدأ بذكر اسم الكتاب، ثم المؤلف، ثم بقية المعلومات.
- استُخدم حرف الطاء مضافاً إليه رقم من الأرقام هكذا (ط 1407/1هـ) في فهرس المصادر والمراجع، وذلك إشارة إلى الطبعة ورقمها وتاريخها.
- رُميز بحرف التاء أمام اسم المؤلف في فهرس المصادر إشارة إلى تاريخ الوفاة.



مامون عبدالرحمن الزاكي

عهدود من الآباء توارثها الأبناء ﴿﴾ بنوا مجدها لكن بنوهم لها أبنى (□)

(ب) العناية بالخلوة وبمؤسسات القرآن الكريم عموماً تأتي من عدة جوانب أهمها :

- 1/ المحافظة على استمرارها ما أمكن، وهذا هو التحدي المائل اليوم، حيث يسعى أعداء الإسلام بكل ما يملكون، ويخططون إلى إيقاف مسيرة المؤسسات القرآنية، أو تذويبها وتغيير مناهجها، فهل تستطيع الأمة أن تواجه التحدي وتحافظ على مسيرة هذه المؤسسات ؟
- 2/ توسعها وانتشارها، وهذا الجانب مُطمأنٌ إليه حيث يشهد العالم الإسلامي صحوة مباركة في الإقبال على القرآن، وارتداد مؤسساته رغم الغزو الإعلامي الشرس
- 3/ تطويرها وتحديثها، وهذا أيضاً من التحديات المائلة التي حملت بعض أبناء الإسلام على التفكير دوماً في إيجاد الحلول المناسبة لتصبح مؤسسات القرآن مواكبة للعصر الذي تعيشه لتخرج الحافظ المؤهل لحمل رسالة القرآن الكريم.

(ج) مفهوم المؤسسة القرآنية:

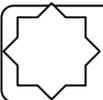
جهة تعليمية تُعنى بتحفيظ القرآن الكريم للناشئة، وتربيتهم على نهجه، أو بتأهيل حفاظه وتمكينهم من الحصول على العلوم المختلفة والمؤسسة القرآنية بهذا التعريف تشمل الخلوة والمعهد

(د) مفهوم الخلوة:

هي دار تعليم القرآن الكريم وتعلمه، ولعلها تسمية واستعمال خاص بأهل السودان وبعض دول إفريقيا كتشاد - مثلاً.

وهذه المؤسسات قد تختلف من بلد لآخر في المسمى والشكل، لا في المضمون والهدف، فنجد من الأسماء مَكْتَب، خَلْوَة، مَحْضَرَة، حَلْقَة، مركز الخ، حيث إن جميعها يتولى مهمة تحفيظ كتاب الله تعالى لأبناء المسلمين - وهذا هو الهدف والغاية عند الجميع .

(¹) انظر نفع الطيب للمقري (227/5).



(هـ) مفهوم التقليد

التقليد ضد التجديد أو الابتكار، أو محاكاة الماضي بكل أشكاله وألوانه، وهو في اللغة يدور حول معاني التشبه والمحاكاة والالتزام، فالملقّد يقف عند الموجود ولا يتجاوزه، بينما المجدّد يُضيفُ ويبتكر أموراً لم تكن موجودة، والمراد هنا البقاء على القديم وإن لم يعد صالحاً كما سيّضح عند الكلام على مفهوم التجديد، وما يُرادُ به.

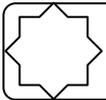
(و) مفهوم التجديد

والتجديد في اللغة العربية مأخوذ من الفعل "جدّد" أي صار جديداً، وجدّده أي صيره جديداً بمعنى أنّه جعل القديم جديداً، أو أعاده إلى حالته الأولى، ومنه الحديث الصّحيح فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم "إنّ الله يبعث لهذه الأمة على رأس كلّ مائة سنة من يجدّد لها أمر دينها"⁽¹⁾ أي يحيي ما اندرس من معالم الدّين بسبب الجهل والغفلة.

ومن خلال هذه المعاني اللغوية يمكن القول بأنّ التجديد في أصل معناه اللغوي تجتمع فيه أمورٌ ثلاثة هي :

- (أ) أن الشّيء المجدّد قد كان في أوّل الأمر موجوداً وقائماً وللناس به عهد.
 - (ب) أن هذا الشّيء أتت عليه الأيام فأصابه البلى وصار قديماً.
 - (ج) أن ذلك الشّيء قد أعيد إلي مثل الحالة التي كان عليها قبل أن يبلى ويخلق.
- ويقارب هذه المفهّمات مفهوم التطوير والتّحديث، وتطوير الشّيء هو تحويره وتعديله وتقويمه إلى ما هو أحسن وأفضل من ذي قبل والتّحديث هو تجديد الشّيء وترتيبه

(1) رواه أبو داود في كتاب الملاحم برقم 3740، والحاكم في المستدرک (522/4) وصحّحه الأباّني في السّلسلة الصّحيحة (150/2) برقم 150



وتحسينه.

والمقصود بالتجديد والتطوير والتحديث في الخلوة : النظر في سيرها، ومراجعة أوضاعها، وتعهدتها من فترة لأخرى، وذلك حتى تواكب عصرها، وتؤدي رسالتها على أكمل وجه، كأن يُختار لقيامها المكان المناسب، والبيئة الصالحة، وأن تشيّد وتُبنى بالصورة المثلى، وأن يكون لها نظامها الإداري في الإشراف والمتابعة والرصد والملاحظة، وأن توفر لطلابها الخدمات المناسبة من سكن وإعاشة ورعاية صحيّة، وإنارة، وأن يتولّى التدريس بها الشيوخ الأكفاء المتقنين المرّبين، وأن تعمل على تحديث وسائل الحفظ وطرقه ومناهجه، وغير ذلك من الأمور التي تمكّن من تطوير المؤسسة القرآنيّة.

وكلّ ما تقدّم ينتج عنه إيجاد حفظة مؤهلين، ومدركين لواقع أمّتهم، مشاركين في قيادتها وتوجيهها يحملون رسالة القرآن في كلّ زمان ومكان على الوجه الأكمل، والصورة المثلى.

(ح) أهمّ المؤسسات القرآنيّة في السودان ، وهي نوعان :

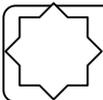
(أ) المؤسسات المعنيّة بتحفيظ القرآن الكريم ، وتشمل :

- 1 - الخلوات.
- 2 - الحلقات .
- 3 - المراكز .
- 4 - الدّور .
- 5 - المدارس القرآنيّة وغيرها.

(ب) المؤسسات المعنيّة بتأهيل حفاظ القرآن الكريم ، وتشمل :

- 1 معاهد .
- 2 جامعات وغيرها

المبحث الأوّل



مأمون عبدالرحمن الزاكي

ومن هنا فإنَّ أهلَ السُّودانِ كغيرهم من المسلمين أولوا هذا الكتاب عنايةًهم ورعايتهم،
فاختاروا لأنفسهم في طريقة حفظه نظامَ الخُلوةِ (□).

وتُعتبر الخُلوة هي المؤسسة الأولى التي تولت نشر القرآن الكريم في أرجاء السُّودان
المختلفة، وتعددت الروايات واختلفت في تاريخ نشأتها وظهورها على وجه التحديد (□).
والمهمّ - أن تاريخها ضاربٌ في الجذور، ويمتدّ إلى زمنٍ بعيدٍ، ربّما ارتبط بدخول
الإسلام السُّودان، مروراً بالممالك الإسلاميّة، ثمّ الحكومات الوطنيّة المختلفة.

المطلب الثاني أهمّ الوسائل التعليميّة في الخُلوة

معلوم أنّ الوسيلة ليست غاية، فالغاية الحفظ والعمل، وللمعلّم أن يستعين بأيّ وسيلة
صالحة، ومن أهمّ الوسائل المستعملة في الخلوات ما يلي :

1/ المصحف أو أجزاءه، وهو لا يتوفّر لجميع الطّلاب، ولذلك كانوا قديماً يلجأون إلى
المصاحف المخطوطة، وتسمّى مصاحف "اليد يكتبها الحفظة الماهرّون من خرّيجي الخلوات،
وميزتها أنّها تكتب بالرواية السائدة في البلد، أمّا الآن فقد توفّرت والحمد لله
المصاحف إلى حدّ كبير وبعده روايات، كاملة ومجزّاة .

(¹) يجمعونها في السُّودان على "خلاوى" أو "خلاوي"، والصّحيح (خَلوات) بفتح اللّام؛ لأنّها جمع (خُلوة) بفتح فسكون
على وزن (فُعلة)

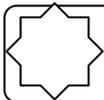
وجمع خُلوة على خلاوى أو خلاوي جرى به التعبير الدارج في البيئّة السُّودانيّة، لذا ذكر الدّكتور أحمد إسماعيل البيلي -
حفظه الله في أرجوزته التي أسماها (الدّائعة في الأخطاء الشائعة) هذه الكلمة وعدّها من الأخطاء الشائعة حيث قال :

ولا تُقْلُ في خُلوةِ خَلَاوي ❁ تقيسُها جهلاً على فتاوي

ولا تُقْلُ في جمعها خَلَاوي ❁ تقيسُها جهلاً على فتاوي

فإنّ في القاموس لفظ فتوى ❁ وليس في القاموس لفظ خُلوي

(²) ففي بعض الروايات أنّها بدأت في أواخر القرن الثّاني الهجريّ، وقيل في القرن الثّامن الهجريّ، وقيل في القرن الثّاسع
الهجريّ، وقيل غير ذلك، ولعلّ تعدّد الروايات راجع إلى ظهور الخُلوة في كلّ منطقة بحسبها، فتباينت التواريخ انظر مقدّمة
كتاب المسيد للأستاذ الطيّب محمّد الطيّب رحمه الله.



الطالب سبعة وهو يدور مع زملائه ، ثم يدور الشيخ عكس الجميع ليتمكن من رؤيتهم ومراقبتهم وتوجيههم

المطلب الرابع أهم ما يميز الخلوة في منهجها ونظامها الدراسي عن بقية مؤسسات التعليم الأخرى.

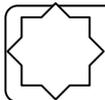
تتميز الخلوة في منهجها وأساليبها وطرقها ووسائلها (□) عن بقية مؤسسات التعليم الأخرى ، ويعتبر منهجها هو الأقدم ، وقد تأثرت به جميع المؤسسات القرآنية التي جاءت بعدها ، ولذلك فهو جدير بالدراسة والنظر والتأمل ، ومن مميزات هذا المنهج

ما يلي

- 1 أن الخلوة تقبل الصّغير والكبير.
- 2 لا تحدّد عدداً للملتحقين بها.
- 3 القبول بها مفتوح ، وليس له وقتٌ معيّن بل تستقبل القادمين إليها في كلّ الأوقات.
- 4 ليس للدراسة بها زمن محدد.
- 5 جميع طلابها يدرسون في مكانٍ واحدٍ يسمّى "القرآنية" أو "الجامعة" .

والسّبع له فوائد عديدة منها :

- 1 أنه يحرك الدّورة الدّمويّة .
 - 2 يشدّ عضلات القلب وسائر أعضاء الجسم .
 - 3 فيه من التّغيير ما يعث على التّشاط ، وتغيّر من خلاله نفسيّة الطالب .
 - 4 يطرد الملل والكسل والتعب ، وبخاصّة أنّ الأطفال مفطورون على حبّ الحركة .
- (¹) الفرق بين الأسلوب والوسيلة أنّ الأسلوب هو الطّريقة والكيفيّة التي يسلكها المعلّم في تدريسه ، بينما الوسيلة هي الأداة أو الآلة التي يستخدمها المعلّم في ذلك ، فمثلاً التّلقين أو الدّوران في السّبع أو الرّمية أو العرضة أو الصّحّة كلّها من أساليب التّعليم في الخلوة أو الحلقة ، بينما اللّوح أو المصحف الكريم هو وسيلة من الوسائل المستخدمة في هذه الأساليب وللمزيد حول هذه النّقطة انظر كتاب المدخل إلى علم الدّعوة للبيانوني (ص46- 48) ، الحلقات القرآنية لتلاميذ (ص63).



المطلب الأوّل مرتكزات التطوير والتّحديث في المؤسسات القرآنيّة.

التّطوير والتّحديث أمرٌ لا بدّ منه، وهو شأنٌ كثيرٌ من أمورِ الحياة، ويعني السير نحو الأفضل، واختيار الأحسن، فيشمل المؤسسات التعليميّة وغيرها، وتأتي مؤسسات القرآن الكريم في مقدّمتها لما لكتاب الله من حقّ عظيم على الأمتّة، فالإمكانيّة موجودة إذا توفّر الدّعم المادّي، والاستعداد النّفسي، والتّخطيط السّليم، ويقوم هذا التطوير على المرتكزات التالية:

- 1 - الإمكانيّات الماليّة أو الدّعم المادّي، فالمال عصب الحياة، وبتوفّره تستطيع المؤسسات القرآنيّة أن تتغلّب على مشاكلها، وأن ترعى طلابها بما يوفّر لهم الخدمات الأساسيّة من إعاشة جيّدة، ومسكن مهيب، ومرافق عامّة، وعلاج مناسب، وبيئة نظيفة وغيرها.
- 2 - التّخطيط الإداري
- 3 - الجانب العلمي والتّربوي.

المطلب الثّاني مجالات التطوير والتّحديث في الخلوات.

- أن يُختار لقيامها المكان المناسب، والبيئة الصّالحة.
- أن تُشيد وتُبنى بالصّورة المثلى، وأن توفّر لطلابها الخدمات المناسبة من إعاشة ورعاية صحّيّة.
- أن تعمل على تحديث وسائل الحفظ وطرقه ومناهجه، ولا يشترط التمسك بالقديم والتعصّب إليه.
- الاستفادة من الوسائل الحديثة المختلفة إذاعة، مصاحف مرّتلة، أقراص مضغوطة (كمبيوتر). الخ



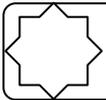
- اختيار الشيوخ المؤهلين، وتأهيل وتدريب الموجودين .
- الاعتناء بالقراءة المجودة، وتحسين الأداء، وهذه المسألة في غاية الأهمية
- تعليم الناشئة القرآن حفظاً وقراءة وفهماً.
- كذلك تربيتهم على هديه معتقداً وأخلاقاً، حتى تسري روح القرآن في قلوبهم، فينشأوا على محبة القرآن، والتعلق به.
- الاعتناء بالإجازة القرآنية.
- تربية الطلاب على الطريقة المثلى في تعاملهم مع شيوخهم واحترامهم على وجه المحبة والوفاء

المبحث الثالث

الإيجابيات والسلبيات في المؤسسات القرآنية (الخلوات وغيرها)

المطلب الأوّل الإيجابيات

لا خلاف على الدور الذي تقوم به الخلوة من المحافظة على كتاب الله، ونشره بين الناس،



وجمعهم على تلاوته، وتمكينهم من حفظه، ومدارسته ومراجعته، وإحياء ناره عبر الزمن يتوارثها الأصغر عن الأكبر، والخلف عن السلف.

ومن هذه الإيجابيات على سبيل المثال لا الحصر ما يلي :

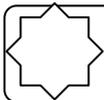
- 1 - مرونة القبول في هذه المؤسسات من جهة العمر، وبخاصة الحلوة مما يتيح الفرصة للكثيرين من حفظ القرآن الكريم
- 2 - بجهد هذه المؤسسات - الحلوات وغيرها بقي القرآن محفوظاً في الصدور .
- 3 - المحافظة على اللغة العربية .
- 4 - إبراز هوية الشعب السوداني في تمسكه بكتاب ربه، وذلك من خلال المسيرة التاريخية الطويلة في المحافظة على هذه المؤسسات .
- 5 - الدور الفاعل لهذه المؤسسات في توحيد الأمة السودانية، وتمتين الأخوة الإسلامية بين أبنائها رغم اختلاف أجناسهم وقبائلهم وألستهم، وذلك من خلال اجتماعهم على تلاوة القرآن وحفظه ومدارسته في هذه المؤسسات.

المطلب الثاني السلبيات

لا شك أن الحلوة لعبت دوراً كبيراً في نشر القرآن الكريم في ربوع السودان المختلفة، وخرّجت العديد من الحفظة وإلى يومنا هذا، إلا أنه تُوجد عليها بعض الملاحظات سأشير إلى شيء منها من باب التواصي بالحق، والتناصح في سبيل نشر القرآن الكريم على أحسن وجه، وأتم صورة، وهذه السلبيات منها ما هو إداري، ومنها ما هو منهجي، ومنها ما هو تربوي، وهي على النحو الآتي

- لا تُوجد جهة إدارية تعنى بشئون الطلاب ومشكلاتهم، ووضع الخطط والبرامج التي تسهم في تطوير الحلوة .

- أغلب المشايخ القائمين على التحفيظ غير مؤهلين علمياً



مامون عبدالرحمن الزاكي

هائلة، لم تمكن القائمين على أمرها من الإنفاق عليهم وإسكانهم ورعايتهم على الوجه المطلوب.

والأنسب: أن يكون قبولُ الطلاب في الخلوة بحسب القدرات والإمكانيات المتاحة للشيخ، وذلك حتى لا تؤدي الحاجة بالطلاب إلى سلوك طرقٍ قد تُسيئُ إليهم، وتؤثر في تربيتهم وتنشئتهم

● الاقتصار على حفظ كتاب الله تعالى دون تعلّم العلوم الشرعيّة، ولو بالقدر اليسير الذي يرفع الجهل

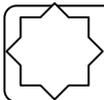
● التّجاوز في أسلوب التّاديب مع التلاميذ، وعدم العمل بأسلوب التّرهيب والتّرهيب.

المبحث الرابع

الرؤية المستقبلية التطويرية (التجديدية) للمؤسسات القرآنية (الخلوات وغيرها)

المطلب الأوّل الرؤية المستقبلية من جهة الحفظ.

توطئة تعليم القرآن الكريم يشمل تعليم المباني والمعاني، كما قال تعالى ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون﴾ [التحل 44] فيبين النبي ﷺ لأصحابه



ولهذا فالخُلُوات تحتاج إلى رؤية مستقبلية تجديدية تطويرية من جهتين :

الأولى : من ناحية الحفظ وتطوير مناهجه ووسائله وأساليبه.

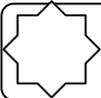
الثانية : من جهة : الفهم والتدبر.

أما الرؤية المستقبلية من جهة الحفظ فتتلخّص في الآتي :

أولاً : قيام هيئة مختصة تتولّى التوجيه والإشراف على المؤسسات القرآنية ، وتضع منهجاً محكماً يساعد على تطوير وتحديث عملية تحفيظ القرآن الكريم ، ويطبّق مع كلّ جهة تتولّى عملية التّحفيظ بحسب وضعها وظرفها فالخُلُوات تختلف عن الحلقات والمراكز والدور وهكذا ، ومن أهمّ مرتكزاته ما يلي :

- 1 -وضع مناهج التّحفيظ وخططه وبرامجه (بصورة مدروسة).
- 2 -ابتكار الوسائل المناسبة للتّحفيظ ، ومتابعة الطّلاب.
- 3 -تعيين واختيار الحفظة الأكفاء للقيام بالتّدريس.
- 4 -تعيين المشرفين والمراقبين للمتابعة ، والتعرّف على مستويات الطّلاب ، ومقدرة الأساتذة وأساليبهم في التّحفيظ وهكذا ينبغي أن يكون لكلّ خلوّة مشرف أو أكثر لمتابعة سير الدّراسة بها وتقييمها أولاً بأولّ.
- 5 -وضع المعايير والشّروط لقبول الطّلاب.
- 6 -وضع اللّوائح والقوانين التي تحكّم عمل الخلوّة
- 7 -إقامة الدّورات العلميّة لتأهيل الشّيوخ والأساتذة والارتقاء بمستواهم العلمي ، ووعيهم الثقافيّ والتّربويّ ، وتبصيرهم بالإدارة ، والأسلوب الأمثل

القراءات : قرأ ابن عامر الشّامي ، والكوفيّون الثلاثة (عاصم وحمزة والكسائي) بضمّ التّاء وفتح العين ، وكسر اللّام مشدّدة (تعلّمون) وقرأ الباقر من السّبعة وهم : نافع وابن كثير وأبو عمرو ، بفتح التّاء وإسكان العين ، وفتح اللّام مخفّفة (تعلّمون). انظر : البدور الزّاهرة في القراءات العشرة المتواترة للشّيخ عبدالفتاح القاضي (ص82).



مامون عبدالرحمن الزاكي

هذه الرؤية تحتاج إلى جهد أكبر، وتتطلب النظر في أمور كثيرة، من أهمها دراسة واقع تدبر القرآن في الخلوات الموجودة في السودان بشكل عام ولا شك أن هذه الخلوات قد بذلت جهداً مقدراً في ربط كثير من أبناء الأمة بالقرآن الكريم، وتمكينهم من حفظه، وهي بذلك تكون قد حققت مرحلة من أهم المراحل في ربط الأمة بالكتاب العزيز، وذلك جزء مهم من عملية تعليم القرآن الكريم، ولكن من الملاحظ أن هذه الخلوات وغيرها من المؤسسات القرآنية لا يُعْتَنَى فيها بفهم القرآن وتدبره، فقد تجد الطالب يحفظ كتاب الله كاملاً، ولا يعرف معاني آيات قليلة من القرآن الكريم، ولا يُحَسِّن تدبرها، والنّاظر في واقع الخلوات وغيرها يرى قصوراً واضحاً في هذا المجال وغيره من العلوم الضرورية الأخرى للمتلقّي.

وبناء على ما تقدّم فإنّ الموازنة بين الحفظ والتدبر في الخلوات تكاد تكون منعدمة، مع أن المقصد الأهم هو تربية النّشء على تعاليم القرآن، وحثّهم على فهم معانيه، والاستفادة من هداياته وعظاته.

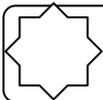
ولا يعني هذا مزاحمة عملية حفظ القرآن الكريم بمواد أخرى، بل المراد إضافة ما هو ضروري للطالب ممّا يرفع من وعيه وإدراكه، وفهمه للمقروء، وكذلك زيادة نشاطه فيما يجده من تنوع لما يتلقّاه، وذلك كلّه يكون وفق منهج مدروس مع وضع مراحل تناسب النّاشئة من جهة أعمارهم، والفوارق التي بينهم، وحصيلتهم من القرآن، وليكن ما هو مخصّص من الزّمن للحفظ 90 و 10 فقط لما سواه.

المبحث الخامس

أثر تدبر القرآن وتفهمه على المعلم والطالب

المطلب الأوّل أثر تدبر القرآن وتفهمه على الشّيخ (المعلم).

القرآن الكريم لم ينزل لمجرد التلاوة اللفظية فحسب؛ بل نزل من أجل هذا ومن أجل ما هو



مأمون عبدالرحمن الزكاه

الرحمن السلمي (□) رحمه الله - أحد أكابر التابعين: حدثنا الذين كانوا يُقرئونا القرآن كعثمان بن عفان وعبدالله بن مسعود وغيرهما أنهم كانوا إذا تعلّموا من النبي ﷺ عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلّموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا "فتعلّمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً" (□).

إنّ المعلم الذي يتدبّر القرآن ويتأثر به ينعكس ذلك على حياته وأخلاقه وسلوكه، فيكون قدوة صالحة لطلّابه يتخلّقون بأخلاقه، ويتبعون خطاه، وحين سئلت السيّدّة عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله ﷺ قالت كان خلقه القرآن (□). قال النووي رحمه الله في شرحه لهذا الحديث ((معناه العمل به، والوقوف عند حدوده، والتأدب بأدابه، والاعتبار بأمثاله وقصصه، وتدبّره، وحسن تلاوته)) (□). ويظهر هذا الأثر على المعلم في أمور كثيرة منها:

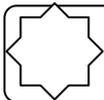
- يجعله قدوة صالحة.
- يكسبه حسن الخلق.
- الحصول على الاحترام والتقدير من طّلابه.
- الصّبر على الطّلاب.
- تأثر الطّلاب به، ومحبتهم وطاعتهم له، واستجابتهم السريعة لتوجيهاته وإرشاداته.

(1) هو: عبدالله بن حبيب بن ربيعة، لأبيه صحبة، ولد في حياة النبي ﷺ، قرأ القرآن وجوّده، وبرع في حفظه، عرض القرآن على عثمان بن عفان، وعليّ، وابن مسعود، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت وغيرهم، وقرأ عليه: لحسن والحسين وعاصم الكوفي وعطاء بن السائب وغيرهم توفي سنة (74هـ). انظر: معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار (52/1 - 57) للدّهبي، مؤسّسة الرّسالة، الطّبعة الأولى 1984م.

(2) تفسير الرازي (132/2)، الإتيان في علوم القرآن للسيوطي (389/2).

(3) صحيح مسلم (268/3) رقم: 746.

(4) شرح النووي على صحيح مسلم (268/3).



ز - التدرّج من العملي إلى النظري (□).

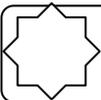
المطلب الثاني أثر تدبّر القرآن وتفهمه على الطالب.

أمّا أثر التدبّر على الطالب فيكسبه الاستقامة على ما أمر الله به في القرآن، مع التخلّق بأخلاقه، والالتزام بأدابه في القول والعمل، وكذلك سعيه لتطبيق القرآن على واقعه وأمّته، وبذل الجهد في نشره بين الناس وتحبيبهم فيه، وغير ذلك من مكارم الأخلاق، مثل:

- 1 - الإخلاص لله عزّ وجلّ
- 2 - تعظيم شعائر الله
- 3 - الحشية والتقوى والخوف والرجاء
- 4 - مراقبة الله سبحانه وتعالى
- 5 - الاعتزاز بدين الله عزّ وجلّ ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (□).
- 6 - غرس التوحيد والعقيدة الصّحيحة من خلال فهم آيات التوحيد، والتّفكّر فيها.
- 7 - الدّأب على قراءة القرآن بتدبّر وهو المقصد الأهمّ في إنزال القرآن الكريم.
- 8 - تحصيل الأجر المترتب على قراءة القرآن بفهم وتدبّر.
- 9 - تعميق تعظيم القرآن الكريم لدى الطالب.
- 10 - بناء الشّخصيّة الفعّالة الواثقة والمؤثّرة.
- 11 - احترامه لزملائه ومعلّميه.
- 12 - غرس روح التعاون على البرّ والتقوى .
- 13 - التمسك بالجماعة وتوثيق الصّلة .

(¹) سورة آل فصلت، آية (33).

(²) انظر الموقع: www.manhal.net



4/ ضرورة بعث فكرة وثقافة الفهم والتدبر للقرآن الكريم في الأمة حتى تعود

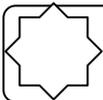
لكتاب ربها، وتفرغ وسعها في استخراج درره، واستنباط أحكامه وفوائده، والتتقيب عن أسرارهِ وحكمه كما فعل سلف هذه الأمة في زمانهم رحمهم الله، فقد كانوا يستخرجون من الآية الواحدة مئات المسائل، فقد ذكر ابن العربي المالكي رحمه الله عند تفسيره قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾⁽¹⁾، أن هذه الآية من أعظم آيات القرآن مسائل وأكثرها أحكاماً في العبادات، وأن العلماء ذكروا فيها ألف مسألة، ثم قال "واجتمع أصحابنا بمدينة السلام فتتبعوها فبلغوها ثمانمائة مسألة، ولم يقدرُوا أن يبلغوها الألف، وهذا التتبع إنما يليق بمن يريد تعريف طرق استخراج العلوم من خبايا الزوايا، والذي يليق الآن في هذه العجالة مما نحن فيه الانتداب إلى انتزاع الجلي، وأن نتعرض لما يسنح خاصة من ظاهر مسائلها"⁽²⁾ اهـ وقد أورد ابن العربي من مسائل هذه الآية (52) مسألة.

ولا بد للأمة أن تنتقل من رتبة الاستماع والتلاوة والحفظ إلى رتبة التدبر والعمل، وبهذه الطريقة أخذ الصحابة رضي الله عنهم فكانوا لا يتعلمون الآية حتى ينتهوا من الآية التي سبقتها فهماً وتدبراً وعملاً، فانعكس ذلك على حياتهم وأخلاقهم، فلذلك رفعهم الله، وأعلى من قدرهم، وسار على نهجهم التابعون من بعدهم فارتقوا وارتفعوا فجعلهم الله سادة للأمم بعد أن كانوا رعاة غنم.

ومما يبين بجلاء أهمية الفقه في القرآن، ووجوب عناية الأمة به حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما حين راجع النبي ﷺ في قراءة القرآن، فلم يأذن له في أقل من ثلاث

(1) المائة، آية (7).

(2) أحكام القرآن لابن العربي (47/2).

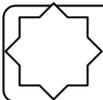


أولاً: إنشاء مركز أو هيئة بالسودان للتدبر تعنتني بنشر فهم القرآن الكريم وتدبره، وتقوم بالآتي

- وضع اللوائح والقوانين التي تحكم عمل المركز أو الهيئة.
- وضع الخطط والبرامج (بصورة مدروسة ومحكمة)
- ابتكار الوسائل المناسبة، واختيار الآليات الفاعلة
- وضع مناهج للفهم والتدبر لمستويات متعددة في الخلوات والحلقات والدور وغيرها بما يتناسب مع المرحلة العمرية، وفق الخصائص النفسية لكل مرحلة، وبما يتناسب مع المستوى التعليمي، وإمكانيات الخلوات والحلقات والدور بقدر الإمكان
- ثانياً تهيئة بيئة الخلوات بالتعرف على مشاكلها المادية، ومن ثم وضع الحلول المناسبة لها
- ثالثاً تمليك المنتسبين إلى هذه الخلوات والحلق والدور وغيرها مقومات التدبر وأدواته ووسائله كمعرفة عظمة الله تعالى، وقدسيتها القرآن، وتوفير كتب التفسير المختصرة جداً ليقراً الطالب فيها ما حفظه، ومن ذلك تنمية ملكة التركيز، وفهم الغريب من كلمات القرآن، وكتحسين الصوت، وتكرار تلاوة الآية، والتدارس الثنائي، والاستماع من الغير بخشوع، وعرض القصص القرآني بأسلوب مبسط وميسر، وطرح الأسئلة من حين لآخر للحث على الاهتمام بمعرفة معاني كلمات القرآن أو السور التي يتلونها ويحفظونها، وغير ذلك.
- رابعاً: تأهيل الشيوخ والأساتذة والارتقاء بمستواهم العلمي والمعرفي، ووعيهم الثقافي والتربوي، وتبصيرهم بتدبر القرآن الكريم وأهميته، وكيف يمارسونه مع طلابهم، وذلك عن طريق إقامة الدورات العلمية والتدريبية المستمرة على أن ينفذها متخصصون في التفسير وعلوم القرآن
- خامساً إعداد الكتيبات المطويات العلمية التي توضح مفهوم التدبر، وضوابطه وشروطه، مع اشتمالها على وسائله ودوافعه ومظاهره وصوراته ومعوقاته وثمراته.



- 1 - تحقيق الاعتبار والاتعاظ والاستبصار ﴿لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾
وهذه هي ثمرة التدبّر ونتيجته بنصّ الآية.
 - 2 - شفاء القلوب والأبدان.
 - 3 - زيادة الإيمان واليقين.
 - 4 - ربط الأمة بالقرآن قراءةً وتدبّراً وعملاً.
 - 5 - تنزيل الفكرة من الرّؤس إلى الواقع العملي المحسوس.
 - 6 - تنمية الفرد والمجتمع والإسهام في نهضة الأمة وتحقيق تطلّعاتها.
 - 7 - بناء الشّخصيّة المسلمة القويّة والمؤثّرة.
 - 8 - أن تصبح الأمة مؤهلة لتطبيق منهج الله تعالى في الأرض، وقيادة البشريّة نحو
عمارة الكون، وتحقيق العبوديّة لله وحده لا شريك له.
 - 9 - تطوير الخلوات من جهة المضمون، وإبراز دورها في المجتمع بصورة أفضل وأكبر.
 - 10 - تصحيح المفاهيم الخاطئة في الخلوات سواء الاعتقاديّة، أو الأخلاقيّة والتربويّة.
 - 11 - تمثين الحفظ وتقويته، فإنّ الفهم السليم مع التدبّر الصّحيح يعينان على حفظ
القرآن واستحضاره.
 - 12 - إيجاد مخرجات مميّزة من الحفظة يتخلّقون بأخلاق القرآن، ويحملون رسالته على
أكمل وجه.
 - 13 - إبراز مكانة ومنزلة حملة القرآن الكريم في المجتمع حتّى يكونوا قدوةً وقادةً.
 - 14 - تصفية الفهم القرآني من الشّوائب والأخطاء السائدة في المجتمع.
 - 15 - المحافظة على هيبة القرآن الكريم في الصّدور حتّى يُجَلَّ ويعظّم، ويعمل به.
 - 16 - تحقيق وسطيّة الإسلام بالفهم الصّحيح من دون "إفراط أو تفريط".
- قال الإمام الآجريّ : ((ألا ترون رحمكم الله إلى مولاكم الكريم، كيف يحثُّ خلقه على
أن يتدبّروا كلامه، ومن تدبّر كلامه عرف الربّ عزّ وجلّ، وعرف عظيم سلطانه وقدرته،



8 المفاهيم الخاطئة التي تهوّل وتخوّف النَّاس من الخوض في تفسير القرآن، وإغلاق العقول عن تدبّر القرآن بحجّة عدم معرفة تفسيره، والاكتفاء بقراءة ألفاظه فقط، وهذا مدخل من مداخل الشيطان على العبد ليصرفه عن الاهتداء بالقرآن قال ابن هبيرة رحمه الله ((ومن مكاييد الشيطان تنفيره عباد الله من تدبّر القرآن لعلمه أنّ الهدى واقع عند التدبّر، فيقول هذه مخاطرة حتّى يقول الإنسان أنا لا أتكلّم في القرآن تورّعاً)) (□).

والصّحيح في هذه المسألة: أنّ القرآن معظمه واضح، ويبيّن وظيفته لكلّ النَّاس، كما روي عن ابن عباس رضي الله عنه: التفسير على أربعة أوجه وجه تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته، وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلاّ الله (□)، ومعظم القرآن من القسمين الأوّلين.

9 عدم إدراك النَّاس لأهمّيّة التدبّر، وأنّه أحد الغايات العظمى للتّنزيل، بل إنّ الأساس من إنزال القرآن، لا مجرد التلاوة على عظم أجرها.

10 عدم توفير أدوات التدبّر ووسائله.

المطلب السّادس الحلّ (المعالجات)

أمّا الحلّ أو التغلّب على هذه العقبات فيتمثّل في أمور كثيرة أبرزها:

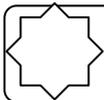
1 - تنفيذ المشروع المقترح، وهو يمثّل حلاًّ لأغلب المشكلات والمعوقات.

2 - التّفكير في إيجاد مداخل مناسبة على الحلولات منها على سبيل المثال:

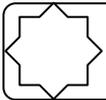
- زيارتها .
- دعمها وتقديم العون لها.
- الطّرح الهادئ مع القائمين عليها بقصد تطويرها والارتقاء بها.

(¹) انظر تفسير الطّبري "جامع البيان عن تأويل آي القرآن 26/1).

(²) ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب (273/3) مطبعة السّنة المحمديّة، مصر 1372هـ.



- التدرّج في طرح الأفكار والرؤى.
- الثناء على القائمين عليها ، وشكرهم على جهودهم في خدمة القرآن.
- 3 - نشر ثقافة التّدبر لكتاب الله تعالى والعمل به في الخلوات وغيرها
- 4 - انتخاب خلّوات نموذجية لتطبيق الفكرة.
- 5 - تأهيل شيوخ الخلوات المعيّنين بعملية التحفيظ.
- 6 - توفير العدد المطلوب من الشيوخ ليتناسب مع عدد الطلاب بالخلوة
- 7 - إدخال الوسائل الحديثة والإفادة منها في مجال الحفظ والفهم للقرآن الكريم.



الخاتمة

بعون الله وتوفيقه اكتمل هذا البحث على ما يبدو فيه من نقص ، وسيكتمل بملاحظات المطلعين والمناقشين إن شاء الله تعالى وقد خرج بجملة من النتائج والتوصيات.

أولاً النتائج

- 1 - تاريخ الخلوة في السودان ضارب في الجذور، ويمتد إلى زمن بعيد، ارتبط بدخول الإسلام السودان مروراً بالممالك الإسلامية، ثم الحكومات الوطنية المتعاقبة.
- 2 - لعبت الخلوة دوراً بارزاً في نشر القرآن بالسودان
- 3 - اعنت الأمة بالمؤسسات القرآنية عبر الدهور والأزمان، لكنّها اليوم تواجه تحدياً كبيراً في المحافظة على هذه المؤسسات القرآنية يتمثل في استمرارها، توسّعها وانتشارها، تطويرها وتحديثها وتجديدها حتى تواكب عصرها .
- 4 - كثير من الخلوات تعاني ضعف الإمكانيات ولا تجد دعماً مستمراً يمكنها من أداء رسالتها على الوجه المطلوب علفناً بأنّ الخلوات تقوم بجهد الأفراد والخيرين، ويؤسّسها الأهالي.
- 5 - مرونة القبول في الخلوة يتيح الفرصة للكثيرين من حفظ القرآن الكريم.
- 6 - عدم العناية بالإجازة القرآنية ذات السند المتصل برسول الله صلى الله عليه وسلم.
- 7 - منهج الخلوة يقوم على استخدام الطريقة الكلية في التعليم، وذلك ببسط الكل قبل تحليل أجزائه.
- 8 - منهج الخلوة يقوم على تعليم مادة واحدة في الوقت الواحد، وهذا ما يفسّر حفظ القرآن الكريم في الخلوة دون معرفة معانيه وأحكامه.



9 جمعُ صفّ أهل القرآن، وخلق صلة بينهم تمكّنهم من التعاون في كلّ ما من شأنه أن يخدم القرآن

10 قيام مؤسسات قرآنيّة تعتنى بتعليم المرأة وتمكينها من حفظ القرآن الكريم وفهمه وتدبره.

11 رعاية المهووبين من الحفظة وبخاصّة صغار السنّ من قِبَل الدّولة والمجتمع.

12 تخصيص ميزانيات ثابتة ومستمرّة لهذه الخلّوات حتّى تتمكّن من أداء رسالتها على الوجه الأكمل.

هذا وصلى الله على نبيّنا محمد وآله وصحبه وسلّم.

وإن تجد عيباً فسدّ الخلالا ❁ فجلّ من لا فيه عيبٌ وعلا

